الفصل الحادي عشر

المرحلة الثالثة : "صاحب ابنك سبعًا"

تلك المرحلة من أهم مراحل التربية، وهي مرحلة التقبل، عليك أن تتقبل ابنك، مهما اختلف عنك في كثير أو قليل من الأمور، وأنه سيكون سيد قراره، فقط عليك أن تعلمه كيف يأخذ قراره، لا أن تأخذه بدلاً منه، تعلمه أن يستعد لحياة جديدة، تعلمه أن يكون مسئولاً عن تصرفاته.

وقد بدأ معلمي قائلاً:

"مرحلة ثالثة ، مرحلة مصاحبة وتقبل ، مرحلة يعلن فيها الأب والأم أن دورهما قد قارب الانتهاء، وأنَّ دور ابنهما قد حان، وأول ما يفعله الأم والأب هو مصاحبة أولادهما، وهو أمر عسير على من لا يعطي اهتمامًا لأبنائه، ويسير على من يعطي أبناءه اهتمامًا ووقتًا.

- المصاحبة :

وسبع معه تكون صديقًا ليبث إليك شكواه

"ما أفضل صفات الصاحب في اعتقادك، ما أفضل صفات أصحابك المقربين إليك؟"

قلت بعد تفكير "ليس لي الكثير من الأصحاب لكن هناك واحد بالفعل من أعز أصحابي وسأصفه لك كما تريد :

يتحملني فإن عصبيتي هي أكثر ما يبعد عني الأصحاب ، وقد أسبغ علي جو العمل المتزايد المتوتر شكلاً من العصبية لا أستطيع التخلص منه"

وبابتسامة ملأت وجهي أضفت " لكن الآن ، الأمر مختلف، أشعر أن الحياة تبتسم لي، وسوف ينبهر بي أصحابي"

"عندما تتغير رؤيتنا للحياة، تتغير تصرفاتنا، وردود أفعالنا، ونرى الأمور بمنظور مختلف، لكنك لم تذكر إلا صفة واحدة من أفضل أصحابك .. فهل هناك صفات أخرى ؟"

"آه ، قلت أنه يتحملني ، ولا يقصر في نصيحتي ، وإن طلبت منه شيئًا سارع في عمله، أظنّ هذه أفضل صفاته، وعلى ما أعتقد لن نجد في الأصحاب كل ما نأمل ، فمن الصعب العثور على ما تريد في

صاحبك ، إننا لا نصنعه بل نجده ولابد أن نتقبله"

"ياله من وصف رائع، إننا لا نصنعهم بل نجدهم ، ولابد من تقبلهم على حالهم وماذا إذن عن أبنائنا أليس علينا أن نتقبلهم؟ إننا في مرحلة المصاحبة وقد أخبرتني عن أفضل صفة تحبها في صاحبك وكانت التحمل أنه يتحمل تصرفاتك وأخطائك ، أليس كذلك ؟"

"بلى ، ولكن هل تعني أن عليّ تحمل ابني لأنه صاحبي؟"

"بالطبع ، إننا لا نتحمل خطأ أبنائنا بل ونعاتبهم وننصحهم ونوجههم على الدوام وهذا خطأ كبير في علاقاتنا .

أخبرني ماذا يفعل صديقك هذا عندما تحكي له مشكلة عندك؟ ألا يسمعك حتى النهاية ؟"

"بالتأكيد"

"ولو كان يسمع بداية الحكاية ولا يجعلك تكملها، ويبدأ مباشرة في نهرك وتوجيهك ولومك على تقصيرك، هل ستفضل ذلك؟ هل ستحكي له مرة أخرى؟ وهل ستستأمنه على أسرارك؟"

"كلا بالطبع"

"وهذا للأسف ما نفعله مع أبنائنا دون أن نشعر، فبمجرد أن يبدأ أبناؤنا في حكاية مشكلة قد حدثت لهم إلا وتنهال على مسامعهم نصائحنا وتوجيهاتنا، حتى يمل الأولاد الحكاية لنا ، وهنا تبدأ قصة عدم الحديث وعدم التواصل ، والشكوى التي أسمعها من الجميع تقريبًا – أولادي لا يتكلمون ، ولا يفتحون قلوبهم – ويجهل هؤلاء الآباء أن الأبناء كانوا يحكون كل شيء، لكنهم كانوا يفاجؤن بطوفان من اللوم والعتاب، حتى توقفوا عن قول أي شيء"

ملأ الذهول وجهي وانتفضت قائلاً :

"هل تعني أن أبنائي الذين لا يقولون شيئًا، ويكتمون عني ما يمرون به في حياتهم، الأمر الذي يحبطني أنا وزوجتي، كل ذلك بسببنا نحن ؟ !!"

" لو كان صاحبك المفضل يلقي باللوم عليك عندما تحكي له شيء؟ هل ستحكي له؟"

أطرقت وقلت بعد تفكير " لا"

"ها قد وصلتك الإجابة ، إذا كنت تريد أن يحكي لك أبناؤك

كل شيء، استمع لهم دون توجيه ثم أعطهم التوجيه في وقته المناسب .

ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة؟ وأفضل أب وأم هم الذين يجعلون نصائحهم قليلة، ويتوقفون عن لوم أبنائهم طوال الوقت .

"أتعرف أنك على حق، ولكن إحساسنا بالمسئولية تجاههم هو الذي يدفعنا لذلك، فمن منا يتحمل أن يحكي له ابنه عن مشكلة دون أن يسبغ عليه من خبرته، وأن يضيف إلى تجاربه تجارب أعمق وأوفق ، لكنَّ هذا كان مما يضايق أبنائي بالفعل"

"ما دمنا نتكلم عن مرحلة ابنك رامي ، فماذا عنه هل يحكي لك شيئًا من جوانب حياته ؟"

"إن " رامي" يعتبرني أبًا مؤقتًا"

"وما معنى أن تكون أبًا مؤقتًا ؟"

"أي أنني أب لفترة معينة، وتلك الفترة ستنقضي إما بموتي، أو بأن يتركني هو ويبدأ حياته بعيدًا عني"

"إنه شعور بغيض جدًا ، إنني أشعر بك، وأتألم لألمك، إلا أنه يحتاج منك لفتح صفحة جديدة تكون فيها صديقه وصاحبه"

"أخبرني كيف ؟"

"ما رأيك لو وضعنا خطة تعيد لك زمام الأمور بإذن الله؟"

"إن هذا ما أتمناه، وبالأخص أن علاقتي به متوترة غاية التوتر، أكثر بكثير من علاقتي مع إخوته"

"سنضع الخطة ولكن بعد أن نكمل ما على فعله مع الأبناء في تلك المرحلة"

- امنح واحرم :

"المنح والحرمان في هذه المرحلة لابد أن يكون لهما شكل مختلف عن المرحلة السابقة ، فالابن في هذه المرحلة قد يبالغ في مطالبه ، لذا يتوجب على الآباء والأمهات أن يتفهموا لمطالبه الحقيقية ويقوموا بمنحها له، وعليهم أن يتعرفوا على مطالبه الزائدة عن الحد، أو المكملة التي يستطيع الاستغناء، وعليهم أن يخبروه أنهم ليسوا مجبرين على منحه ، وقد يكون من الأفضل أن يعمل عملاً يستحق به ذلك"

"وكيف يعمل عملاً يستحق به ذلك؟"

"لنتكلم عن رامي مثلاً ، ماذا عن مطالبه الأساسية ، هل توفرها له ؟"

"إنني أوفر له كل شيء"

"حسنًا ، وهو لا يبذل أي جهد"

"ومن قال ذلك؟! ، إنه يبذل كل طاقته للفتك بي وبأمه، وهذا ليس أمرًا سهلاً على الإطلاق"

ضحك وضحكت معه، وقال لي : " إنك تتمتع بحس دعابة رائع"

"الحياة يا صديقي ، وتلك الأعباء جعلتني أسخر من كل شيء، بل وأسخر من نفسي أيضًا"

"تستطيع أن تجعل يبذل بعض الجهد لينال ما يريد وليتعلم ان الحياة تعطي من يبذل الجهد"

"وكيف أجعله يفعل ؟ ما الأمور التي أكلفه بها ؟"

"أتعرف يا عزيزي، سأحكي لك قصة من أعجب ما سمعت: كنت ذاهبًا ذات مرة لقضاء بعض الأشغال فركبت سيارة أجرة "تاكسي" ، ومن عادتي ان أحمل معي حقيبة بها كتاب، وذلك لكي أستغل أي وقت متاح لي للقراءة، فما أن ركبت حتى أخرجت الكتاب لأقرأ، وأثناء سيرنا كان السائق يتحدث مع سائقي السيارات المجاورة، أو مع المارة، وقد تعجبت من حلو حديثه، ورجاحة عقله، فقلت في نفسي لأتحدث إليه فإنه مما يبد عليه الحكمة وحنكة الأعوام، أغلقت الكتاب والتفت إليه فوجدته رجلاً هادئًا وقورًا فقلت له وأنا أحاول أن أفتح حوارًا معه :

"لقد اختلفت الأحوال عن ذي قبل أليس كذلك ؟"

فقال : "كثيرًا يابني ، فلم تكن الطرق مزدحمة هكذا، وكانت أخلاق الناس أفضل من هذا"

"وبالأخص شباب هذه الأيام، ماذا تشعر تجاههم" قلت في نفسي لابدأن أتطرق لهذه النقطة في الحديث معه، فإن التربية

تشغلني وتأخذ تفكيري .

فأجاب وقد امتلأ فمه ببسمة تشق طريقها على شفتيه في صعوبة بالغة وكأنها ترفض أن تعلن عن نفسها في ظل ظروف الشباب تلك:

"الشباب تائهون، والآباء لا يحسنون التعامل معهم"

"وماذا على الآباء أن يفعلوا في اعتقادك وبخبرتك، المقاهي ممتلئة عن آخرها بالشباب، والمساجد تشكو من قلة الشباب، والمكتبات لا يرتادها أحد، فماذا يفعل الآباء؟"

فقال لي ببساطة ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أتعرف ماذا فعلت مع ابني ؟"

"ماذا فعلت ؟"

"إن ابني في السنة الثالثة من الجامعة، وفي الصيف أذهب به إلى أحد أصدقائي وهو صاحب مكتب للعقارات ليعمل معه، وصاحب المكتب هذا لا يكسب مالاً وفيرًا لكي يعين عنده ابني، لكنني كنت أقول له أنا سأعطيك راتبه لكي تعطيه له، وهكذا يذهب ابني ليعمل، ويأخذ الراتب من صاحب العمل الذي هو من جيبي أنا"

تملكتني الدهشة ، وعقدت لساني ، ياله من رجل ، إن بيننا أشخاص يفكرون بعبقرية وتفرد .

"يالها من فكرة"

"بدلاً من أعطيه مصروفًا شهريًا وهو جالس في البيت، لا يفعل شيئًا جعلته يعمل ويأخذ المصروف على أنه راتبه دون أن يدري"

وصلت بنا السيارة إلى بغيتي، فشكرته وذهبت، وكنت أتمنى بداخلي أن يطول الطريق لأتعلم منه أكثر .

"أرأيت يا "أكرم" كيف استغل هذا الرجل الموقف لصالحه وصالح ابنه"

"ياله من رجل"

"هذا أب بالفطرة، توكل على الله ووجد حلاً"

"وما أروعه من حل"

"إن مشاكل شبابنا تنبع من فراغهم فقد قال رسول الله صلى عليه وسلم "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ

"ولو قام شبابنا بعمل مفيد ستقل مشاكلهم تدريجيًا حتى تنعدم مع الوقت بإحساسهم بأنفسهم ومع تزايد ثقتهم في الحياة"

"إذن عليّ أن أجد حلاً لابني يجعله يستفيد من وقته، ولكي يعرف أن العطاء لابد من البذل للوصول له"

" دعنا ننتقل لما بعدها :

- الإنصات :

كن مستمعًا .

الإنصات يا عزيزي ، والابن في هذه المرحلة يتحتاج الإنصات أشد الاحتياج، ولو كنت تسمع شكاوى الأبناء مثلي، لوجدت أن كل الأبناء تقريبًا يشتكون من عدم سماع آبائهم لهم ، ولم يدرك الآباء أنهم عندما يمنحوا أبناءهم قلبوهم وآذانهم ، ستنفتح الحياة أمام أعينهم.

ولابد للآباء والأمهات في تلك المرحلة العمرية لأبنائهم أن يتحلوا بالصبر فسوف يسمعون منهم الكثير من الأفكار الطائشة غير الموزونة، والتي قد يتبناها أصدقاؤهم وأقرانهم، ومن ثَم يتبناها الأبناء أيضًا دون وعي منهم بمدى مصداقيتها"

"إنَّ الإنصات أمر جيد، وعندما جربته، مع أبنائي الصغار عرفت فائدته ووجدت أثره، إنه يشعرهم بأهميتهم بالفعل"

"وهذا أهم ما في الأمر ، أن يشعر الأبناء بأهميتهم لدى آبائهم وأمهاتهم"

"لكن ماذا نفعل مع تلك الأفكار الطائشة التي تمتلئ بها عقولهم؟"

"لا عليك فقط وجهه وحاول أن تجعل الأمور تمضي قدر الإمكان، فسوف يتعلم على كل حال، فقط ذكرة بأن المبادئ هي ما يحكم تلك الحياة وستكون لها الغلبة في النهاية"

"إنه يتهم هذا الكلام بالقِـدَم"

"لأنه لا يرى أثره في حياة الناس، لذلك عليك أن توضح له فائدة العمل بالمبادئ والمحافظة عليها، وأنه ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا﴾ وأيضًا ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ وسيؤمن به عندما يرى فائدته ، هل حدث لك في حياتك أن أكرمك الله ، وشعرت أنه بسبب حسنة فعلتها ؟"

"كثيرًا ما يحدث لنا ذلك"

"لابد أن تحكي ذلك لأبنائك ليتعلموا، فإنَّ مبادئ الناس هذه الأيام أصبحت مغلوطة ولا تقوم على أساس من الدين أو العقل حتى، ويكثر هذا بين الشباب"

"بالفعل وإنني أظن أن الأجيال القادمة ستكون خالية من أي عقل أو دين لأن أولادنا سيربونهم"

"لذا يتوجب عليك أن تنصت، وتضع مبادئ سليمة ، وتساعده لكي يعمل بها"

"وماذا بعد ؟"

"نأتي لنقطة على درجة كبيرة من الأهمية"

"وهل هناك ما تقوله وليس على درجة من الأهمية ، إن كلامك هام يا مراد ولا أبالغ إن قلت أنه لابد أن يكتب بحروف من ذهب على صفحات مضيئة ليتعلم منه الناس"

احمر وجهه من الخجل ، وقال مرحًا كعادته : "شكرًا على الإطراء، إن العلم نور من عند الله ، ينبغي أن نشكره عليه ، وشكره أن نعمل به

ونعلمه غيرنا"

"ليت الجميع مثلك يا عزيزي"

"هناك العديد ممن هو أفضل مني، والآن دعنا نكمل، أين توقفنا؟"

"عند النقطة الهامة"

"آه ، نعم وصلنا إلى :

- المشاركة :

شارك واتركه لبلاه .

ساعد عن قرب مبتعدًا.

ماذا تفعل عندما يقع ابنك رامي في مشكلة ؟"

"أحاول أن أحلها له، وهذا ما يحدث على كل الأحوال ... في العام الماضي على ما أذكر حدث أن صادف مشكلة مع مسئول في المعهد الذي يدرس فيه، وتفاقم الأمر وأنا لا أعلم، ولما أخبرني به ذهبت أكثر من مرة لأقوم بحل الموضوع"

"وهل استطعت حلها ؟"

"نعم وقد استغرق مني وقتًا طويلاً، كدت أن أقسم بعدها ألا أتدخل في شؤونه، وذلك من كثرة من عانيت في تلك المشكلة"

"وماذا كان دوره في حلها ؟"

"دور في حلها ؟! إنك تضحكني يا عزيزي ، إن دوره يتمثل في جلب المشكلة لا حلها ، وإلا فما فائدة الآباء والأمهات ؟، إن الأبناء لا يتذكرون آباءهم وأمهاتهم إلا عند يقعوا في مشاكل ويحتاجون لأحد يحلها"

"شيء مؤسف" قالها والامتعاض باد على وجهه.

"شيء مؤسف؟ هل هذا ما ستقوله لي؟، إنني أعلم كم هو شيء مؤسف فقد عانيت منه كثيرًا ، لقد انتظرت منك الحل"

"الحل ؟! ، أي حل تريده مني ، أنت تقوم بالأمر كما ينبغي، أبناؤك يخطؤون وأنت تقوم بحل مشاكلهم نيابة عنهم"

"لكنهم لن يعتمدوا على أنفسهم أبدًا"

"إذن فأنت تعرف ذلك، حسبتك لا تعرف"

" أظنك تسخر مني"

"كلا بالطبع ، لكنني أعتقد أنك تناقض نفسك ، شانك شأن الكثير من الآباء"

"وكيف أناقض نفسي يا معلمي ؟"

"تخبرني أنك تقوم بحل مشاكل رامي التي يتسبب فيها هو، ثم تتدعي أنه لن يكون على قدر المسئولية مثله مثل باقي شباب هذه الأيام، فما الذي يجعلهم غير مسئولين ؟"

"أتقصد أن تدخُّلي لحل مشاكله يجعله لا يعتمد على نفسه ولا يتحمل مسئولية حياته"

"أليس هذا ما تراه أنت أيضًا ؟"

أطرقت مفكرًا وقلت في نفسي إنه على حق بالفعل ، لطالما فكرت أن ما أفعله لا يجعل أبنائي على قدر من المسئولية، لذلك قلت : " أظنك على حق ، إنني عندما أتذكر أبي ، وأنا في المرحلة الثانوية

ومرحلة الجامعة ما كان يتدخل لحل مشاكلي إلا نادرًا ولكن له كلمة مأثورة كثيرًا ما يقولها لي"

"وما هي تلك الكلمة ؟"

"إنه بيت شعر يقول :

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

"يالها من حكمة، وهل تراك استفتدت من ذلك ؟"

"كثيرًا ، لكن لا أخفي أنني وقتها كنت لا أفهم لم يعاملني أبي هكذا بل وكنت أظنه لا يحبني ، عندما كنت أقارن نفسي بغير من الأصدقاء الذين كان آباؤهم يفعلون لهم كل شيء"

"هذه نقطة هامة ، سنحتاجها فيما بعد ، لكن الآن دعني أسألك سؤالاً"

"تفضل"

"هل تعرف أحد من أصدقائك هؤلاء الذين كان آباؤهم يفعلون لهم كل شيء ولا يجعلونهم يعتمدون على أنفسهم لحل مشاكلهم؟"

"أعرف بعضهم حتى الآن ، ولماذا ؟"

"ما مدى نجاحهم في حياتهم واعتمادهم على أنفسهم ؟"

ضحكت وأجبته "معظمهم يلاقي صعوبات كثيرة في حياته، وقد لاحظت أنهم بمجرد أن يواجهوا صعوبة في حياتهم يهربون ولا يواجهونها"

"لأنهم لم يتعلموا كيف يواجهوها"

"فهمت مغزى كلامك"

"ينبغي عليك أن تشارك ابنك، لكن عليك أن تتركه يحل مشاكله بنفسه وتكون مساعدتك عن قرب مبتعدًا كما قلت أنا:

ساعد عن قرب مبتعدًا . لتوجه وتقوي خطاه لابد أن تقترب من ابنك وتسمع له وتنصت ، وهذا القرب الذي أقصده لكن عليك أن تبتعد عن حل المشكلة.

"إنه أمر جيد بالفعل أن أساعد عاطفيًا، وألا أتدخل بل أوجه خطاه"

"ولكن احذر فهناك مشاكل لابد لك من التدخل فيها بالفعل"

"بالطبع ، أعلم أنه عليّ أن أقدر المشكلة جيدًا ولا أتدخل إلا في المشكلات التي لابد لي من التدخل فيها"

"وهذا ليصبح ولد كما قلت في قصيدتي :

ليكون شبابًا مسئولاً يحمل في الخطأ عقباه

"ومن لا يريد أن يربي أبناءًا يتحملوا نتيجة خطئهم ؟"

وتطرقنا بعدها لنقطة غاية في الروعة ، كنت أفتقدها كثيرًا، ألا وهي الحوار والنقاش مع الأبناء .

فقد تابع معلمي قائلاً "ثم لنتكلم عن الحوار والنقاش مع الأبناء فقد قلت فيه حاور ناقش واحذر جدلاً .

"الحوار مع الأبناء يا صديقي، قرة عين لكل أب وأم أن يتحدثوا مع أبنائهم أن يحصدوا ثمرة ما زرعوه مع ابن أو بنت يتقنون فن الحوار ويثرون النقاش بكلمات رشيقة وأفكار براقة"

"كلمات رشيقة وأفكار براقة ، وهل هناك أبناء يجيدون الحوار أو يتقنون النقاش؟"

"ابنك سيفعل، لو أحسنت توجيه عقله، وهذبت الحوار والنقاش، ولكن احذر الجدل ، فالأبناء بارعون في وضع آبائهم في فخ الجدل، الذي لا طائل منه"

"لكنني لا أستطيع أن أجري معه حوارًا أو نقاشًا، إنني أشعر أن عقول أبناء هذه الأيام لا تفكر في ذلك من الأساس"

"ألم يقل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «خاطبوا الناس على قدر عقولهم» لذا أنت تحتاج أن تخاطبه على قدر عقله"

"أحاول ، وإن كنت لا أرى له إلا عقلاً تافهًا"

"استعمل ما قلناه في الفصل الأول"

"الاهتمام ثم تعديل النظارة ، لكني أظنه سيأخذ وقتًا مع ابني ذي الثمانية عشر عامًا"

"حتى لو أخذ وقتًا ، لا مشكلة هناك ، ألا يستحق ابنك هذا

وأكثر ، وهل هناك شعور يعطيك السعادة أكثر من رؤية أبنائك كما تريد ؟"

"بالطبع لا"

"انطلق يا صديقي وتوكل على الله ، لكن عليك أن توسع أفقه أيضًا وقد قلت : وسع أفقًا .

"توسعة الأفق في تلك المرحلة لن تكون أكثر مما فعلت إلا في أن تساعده في فهم المرحلة المقبلة "أن يعيش الإنسان بعقل أكبر من عقله" وهو من أفضل الطرق التي تجعله يتخطى مرحلته بأفضل النتائج"

" كلام رائع ، لكن التنفيذ يا صديقي"

" لكي توسع أفق ابنك داوم على أن تطلب منه حلاً لمشكلة ما تواجهها أنت في عملك مثلاً ، أو مشكلة يواجهها المجتمع ، ضع له الأسئلة أمامه واترك له وقتًا في التفكير إن كان يحتاج ذلك ، وبحسن نقاشك وحوارك معه وبعدك عن الجدل كما قلنا سابقًا تستطيع وقتها أن توسع أفقه"

" هل لي بمثال ؟"

" وهل هناك أمثلة تُضرب أفضل مما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ؟! .

وانظر لحديث ابن عمر عندما سألهم رسول الله " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقهاوإنها مثل المسلم ، فخبروني ما هي ، قال فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت أن أقول ، قم قالوا خبرنا ما هي يا رسيول الله فقال النخلة ، فحكيت لأبي فقال وددت لو أنك قلتها وليس لي الدنيا وما فيها"

" عليه الصلاة والسلام ، معلم البشرية"

" فانظر إلى الرسول كيف كان يوسع أفق أصحابه ، فعليك أن تقرأ في سيرته وسيرة الصالحين والعلماء وتتعلم منهم"

" إن القراءة معين لا ينضب"

" بالفعل وبعد ذلك في النهاية كما تعودنا ... الدعاء"

كما قلت : وادع الله .

وليس فيها كثير الكلام ، فالدعاء باب بين العبد وربه ، ومن أكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له كما قال ابن القيم .

وانتهت مقابلتي الأخيرة مع معلمي وتركني للتطبيق الأخير ، حان وقت العودة وانتهاء الرحلة ، وكم كانت رحلة ممتعة ، اغترفت فيها من بحور المعرفة .

شكرت مراد وودعته ودعوت له بالتوفيق ، وانطلقت لعائلتي .

تطبيق أخير

لمدة أربعة شهور متتالية وأنا أحارب في معركتي الجديدة ، إن معلمي

قال لي أن التربية ليست سهلة لكنها ليست مستحيلة ، وبالفعل مع ما كنت ما أحرزه من تقدم في تعاملي مع " رامي " لم أشعر أبدًا بالسهولة ، لكني كنت أجد بصيصًا من الأمل ، وقد دفعني ذلك البصيص دفعًا لئلا أتوقف ، كدت أن أيأس ، لكن الله أكرمني في النهاية وصارت علاقتي بـ " رامي " أفضل بكثير من ذي قبل ، هل تريدون ان تعرفوا كيف ؟ .... سأخبركم لا تتعجلوا فقد كتبت كل هذا لأخبركم ، القواعد التي علمني إياها " مراد " تجعل من ابنك إنسانًا آخر فقط لو نفذتها بشكل سليم ، ولو سألتموني أي قاعدة مما سبق هي الأفضل ، أقول لكم الجميع لابد أن تطيق جميع القواعد ، واعلم أن الدعاء سلاح لا يقهر فأنا لم أزل أدعو الله ، حتى أكرمني بفضله ، وإليكم ما حدث .

لقد بدأت الاقتراب من " رامي " كما أخبرتكم سابقًا عندما سألته عن مكان أتعلم فيه الكمبيوتر ، وكانت بداية أذابت الجليد مع الهدية التي أهديتها إياه وذات مرة تحينت فرصة إجازتي الأسبوعية ، وذهبت لغرفته فوجدته جالسًا أمام الإنترنت كعادته ، حاولت التحدث معه في بعض المواضيع فوجدت عقلاً خاويًا ، لا يساوي ثمن الكمبيوتر الذي

يجلس أمامه .

هممت أن أقوم وأتركه مع ما يفعله ، لكني استوقفتني صورة "مراد" وكأنه يقول لي لا تيأس حاول وتوكل على الله ، لذا أكملت الحوار مع ابني ولم أتهم آراءه ولم أتهمه بالتفاهة ولا بالسفاهة كما كنت أفعل من قبل ، وكم احتاج ذلك مني جهدًا لأتحكم في لساني – وفي يدي أيضًا التي تريد أن تصافح وجهه ، تهنئة على عقله الخاوي – .

وفي نهاية جلستي معه عرضت عليه عرضًا ، قلت له : " ما رأيك في ان نتعشى سويًا غدًا ؟"

" ماذا ؟! " متعجبًا قالها والدهشة تملأ وجهه ، وتعجبه نابع من أنها المرة الأولى التي أفعلها معه في حياتي .

" كما سمعت ، أريد أن أتعشى معك"

" موافق"

وذهبنا في اليوم التالي ، وكان وقتًا ممتعًا ولم أفتح معه أي حوار عن نفسه ، بل وتحدثنا في أمور عديدة ومختلفة ، لكني حرصت ألا أتحدث عنه هو ولا عن حياته .

وبعد ثلاثة أيام علمت بقيام ندوة عن الحاسوب وأهميته في العصر الحديث وقد قرأت عن إقامتها في الجريدة ، وما إن عدت للمنزل حتى أخبرته بها وأن عليه أن يتجهز لنذهب سويًا ، وكان في غاية السرور ، وذهب معي وكانت ندوة شيقة بالفعل ، استفتدت منها الكثير ، لكن الأهم كان رأيه هو وسألته عن رأيه فقال كلامًا أدهشني وبشدة ، انظروا ماذا قال .

سألته : " رامي هل استفدت من المحاضرة ؟"

" كلا ، لكني استفدت أكبر من المحاضرة"

" وما الذي استفدته"

" قبل أن أجيبك أخبرني يا أبي ، لماذا أتيت معي لهذه الندوة وأنت غير مهتم بالكمبيوتر بالدرجة الكافية ؟"

نظرت إلى عينيه مباشرة وأجبت بكل سرعة وطلاقة : " أنا لست مهتمًا بالكمبيوتر بالدرجة الكافية فعلاً ، لكني مهتم بك أنت"

" هل تريد معرفة إن كنت استفدت أم لا ؟"

" بالطبع "

" لقد استفدت وجودك بجانبي "

" وسأظل بجانبك "

وعدنا للبيت ولم نتكلم أكثر من هذا لكني كنت أشعر بسعادة غامرة وصليت لله وحمدته كثيرًا وأخبرت زوجتي وكادت لا تصدقني وأنا أحكي لها ما حدث وشعرت أن هذه هي بداية التواصل مع رامي، وإعادته للسير السليم من جديد .

وانخرطت في الحياة أنتظر ما سيأتي ، وأدعو الله دومًا ليوفقنا وينير بصيرتنا في تعاملنا مع أبنائنا ، وبعد يومين أو أكثر طلبت من رامي أن يأتي معي لزيارة أحد الأقارب ، فلم يوافق وأخبرني أنه على موعد مع أصحابه ، فقلت له وقتها ، أصدقاؤك أهم مني بالفعل أذهب معهم ، وتركته وانصرفت .

لكنه وفي اليوم التالي فعلت شيئًا قد يدعو للعجب ، بعد خروجي من العمل وأثناء عودتي للمنزل ، عرجت على محل للهدايا واشتريت له هدية جميلة ،ولو سألتموني لماذا فعلت هذا سأجيبكم ، لأنني أحببت ابني بالفعل ، ولابد من توجيه حسن يجعله يفهم الصواب

لكي يفعله ، ولن يؤثر فيه إلا الأسلوب الطيب .

وبالفعل جاءني رامي وطلب الجلوس معي ، وبدا عليه الخجل بعض الشيء وقال : " أبي ، هل أنت غاضب مني "

" ولم أغضب ؟"

" لاني لم أخرج معك بالأمس "

في هذا الوقت مددت له يدي وأعطيته الهدية التي أحضرتها له ، فأخذها وقال : " ما هذا ؟"

قلت : " هدية مني إليك "

ففتحها وكنت قد وضع ورقة مع الهدية كتبت فيها " ابني العزيز إني أحبك ، فهيا نكمل حياتنا سويًا ، يدًا بيد ، متوكلين على الله "

فقرأها ، وشكرني على الهدية ، ووضعها جانبًا ، وقبلني وأخذته في حضني ..... ولكم أن تتخيلوا كم كان هذا شعورًا أبويًا رائعًا ، لم أشعر به منذ فترة طويلة .

وكانت فرصتي لاستغلالها ، فقلت له : " ابني العزيز ، أتريد بداية

جديدة معي ؟ ، أم تعجبك حالنا الأولى ؟"

فقال : " أريد بداية جديدة"

قلت له لابد من وضع بعض الاتفاقات والقواعد لكي تسير الحياة كما نريد فقال: "لنضع"

فقلت له لنجعلها غدًا ، بعد أن تفكر ، وترتب أوراقك .

وفي اليوم التالي جلست معه ، وطلبت منه أن يتكلم أولاً ، فانظروا ماذا قال لكي تعلموا فيم يفكر أبناؤكم .

" أبي إنني لا أشعر بأهميتي في تلك الحياة"

فرصتي لأمارس معه الإنصات الجيد ، لذا قلت : " أقدر شعورك ... فعندما يرى الإنسان أن لا أهمية له .. يفقد معنى الحياة"

" بالضبط وهذا ما أشعر به الآن ، ليس هناك فائدة لكل ما أفعله أريد أن أكون شخصًا مفيدًا ، أريد أن اشعر بقيمتي داخل البيت وخارج البيت"

" وأنا أريد أن أساعدك ، فماذا علي أن أفعل"

" لا أدري "

" لنرى إذن ما هي صفات الشخص المفيد ، كيف يبدو لك هذا الشخص ؟"

" واثق في نفسه ، مثقف ، قوي ، ... وصفات أخرى مشابهة"

" والأهم من ذلك أن يكون مرتبطًا بربه لكي يوفقه الله"

" بالطبع ، لكني لا أعرف كيف أفعل"

" لكني سأساعدك فهل تقبل"

" بل أريد ذلك بشدة"

" إن أول شيء على الإنسان أن يضعه هو خطة للوصول لهدفه، أتعرف كيف تغيرت أنا لهذا الوضع الحالي؟"

" إنني أتعجب من تغييرك هذا، لقد صرت إنسانًا آخر ، كثيرًا ما أراك تقرأ وتمارس الرياضة ، وصرت قريبًا منا ، لكنك لم تكن هكذا من قبل"

" ألا تريد ان تصير مثلي ؟"

" بلى أتمنى "

" لنضع خطة من الآن وعلى مدار شهرين ، لتنمية جوانب حياتك المختلفة ، فما رأيك ؟ "

" موافق "

ووضعنا الخطة .

ثم قلت له : " ما رأيك في أن تعمل وفي المجال الذي تحبه ، ألا وهو مجال الكمبيوتر ؟ ، وسوف تشعر بقمية نفسك بالفعل عندما تكسب مالك من عملك "

غزت الابتسامة وجهه وقال : " حقًا يا أبي ؟ "

" نعم ، لقد حدثت أحد أصدقائي وهو يملك مركزًا للكمبيوتر لتعمل عنده فترة الإجازة ، ولن يكوت الراتب كبيرًا ولكني سأعطيك أكثر ، لكي تأخذ دورات في مجالك حتى تزيد من مهاراتك وقدراتك ، وتكون مستعدًا لمكان عمل أفضل "

" إنني أحبك يا أبي "

" بقي أمر واحد"

" وما هو ؟"

" إن طريقة تصفيف شعرك ليس مما يناسب إنسانًا مسئولاً ، ألا ترى معي ذلك ؟"

" سأجعلها كما تريد"

" أريدك أن تجعلها كما يريد الإنسان الذي بداخلك الإنسان الذي يريد أن يشعر بقيمته المستمدة من دينه وقوته وثقافته ، لا من تقليد بعض التافهين فارغي العقول"

" حسنًا يا أبي"

وطبع على جبيني قبلة وانصرف .

ابن آخر

إنني أكتب لكم هذا بعد ستة أشهر من اتفاقي مع ابني "رامي" وأعلم أنكم تنتظرون أن أخبركم نتيجة ما حدث .

لقد حافظ ابني على كل عهوده معي وصار إنسانًا آخر ، ملتزمًا

دينيًا، يقرأ كل يومين ويناقشني فيما يقرأ كلما تسنى لي ذلك ، يجتهد قدر استطاعته ليزيد من مهارته وأنا أساعده على ذلك .

يساعدني أحيانًا في مجال عملي ، وأستفيد من قراءاته عندما يناقشني ، لقد تغير ابني بالفعل ، ولم يكن هذا سهلاً ، بل احتاج جهدًا ومشقة ، واحتاج ما هو أهم من كل هذا أتعرفون ماهو ؟؟؟؟!

احتاج إلى تغييري أنا .....

فإلى كل أب وأم ... تغيرا في البداية ليتغير أبناؤكما .

من أنا إلى نحن

" ها قد وصلنا لمرحلة تسليم العصا في سباق التبادل. هل تعرف تلك اللحظة في سباقات التبادل؟ إنها لحظة يعلن فيها متسابق أنه قد أنهى دوره وسيبدأ دور المتسابق الآخر ، والأب والأم عندما ينهي ابنهم هذه المرحلة عليهم أن يستعدوا لتسليمه العصا، فقد حانت بداية انطلاق حياته"

افعلها ولا تخف الآن سلم ابنك العصا لكي ينطلق بها ، مكملاً حياته المقبلة على ضوء المبادئ السامية التي علمتها إياها ، تلك المبادئ

التي ستجعله شخصًا مسئولاً يخرج من فردية "أنا" إلى جماعية "نحن" ، تأكد أنه سيكون أبًا ولن يتنحي جانبًا تأكد أن الله سيرعاه ويسدد خطاه .

أما أنت فاجلس هادئًا هانئًا ، مستمتعًا بما فعلت ، داعيًا ربك أن يحسن خاتمتك ، وأن يجعل من أبنائك من يدعو لك فيستجيب ربك له.